تدبر سورة التغابن

المحاضرة:12

١ التعريف العام بالسورة

- اختلف العلماء في كون السورة مكية أو مدنية، والأشهر والله تعالى أعلم أنها مدنية.
- يقول العلماء إنها آخر المسبحات، أي آخر السور التي افتُتحت بالتسبيح، سواء بلفظ: سَبّحَ أو يسبّح أو سَبِّح.

٢ محاور سورة التغابن

1- الحرص على طاعة الله تعالى.
2- الحرص على اغتنام الأوقات.
3- الحرص على اتقاء غضب الله سبحانه وتعالى؛ حتى لا يقع الإنسان في التغابن.

٣ معنى التغابن

- التغابن مأخوذ من الغبن، وهو مصطلح يُستعمل في البيع والشراء، فيقال: في هذه البيعة غبن.
- والمقصود هو الخسارة، غالباً بسبب الخداع . فقد تكون هناك سلعة ذات قيمة كبيرة، فيُخدع الإنسان فيبيعها بثمن بخس، فيقال: حصل غبن. أو تكون السلعة رخيصة، فيُخدع فيشتريها بثمن غالٍ، فيقال: حصل له غبن، أي خُدع وخسر وتغافل.
- ولذلك يُسمى يوم القيامة يوم التغابن؛ وكثرة الخاسرين، بخسارة صفقة الدنيا التي لم تُبنَ على طاعة الله.
- حتى المؤمن الذي سيدخل الجنة سيتحسّر يوم القيامة على التقصير الذي ارتكبه والدرجات التي فاتته.

٤ أعظم نعمتين: الصحة والفراغ.

- قال عليه الصلاة والسلام: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ"
- "الفراغ"سيف ذو حدّين: إن أُحسن استغلاله نجا الإنسان، وإن ضُيِّع صار سببًا للغَبْن.
- كثيرون يمضون أوقاتهم في الهاتف، في المقاطع القصيرة، وفي الكلام الذي لا ينفع، فيذوب عمرهم بين برامجٍ فارغة وأعمالٍ بلا قيمة.
- "الصحة" نعمة عظيمة، وكثير من الناس لا يقدّرونها إلا بعد أن تضعف طاقتهم، فيبدأون الصلاة والصيام، وهم عاجزون عن أدائها كما ينبغي.
- والأولى هو استثمار أيام الشباب وقوة الجسد في السعي إلى العبادة والخير لا تضيع صحتك ولا فراغك، فكل لحظة ضائعة تصبح سببًا للندم يوم القيامة.

(الآية 1):

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}

١ {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ}

- التسبيح هو تنزيهُ الله تعالى عن كل نقصٍ وعيب، وإثباتُ كماله المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.
- فكل ما يصدر عنه جل وعلا إنما هو عن عدلٍ وحكمة، ولا يجوز الاعتراض على أقداره أو اتهام أفعاله؛ لأنه سبحانه منزَّه عن الخطأ والظلم.
- جميع ما في السماوات والأرض يسبّح بحمد الله تعالى، فالكون كله خاضعٌ لله ومُتَّسق مع أمره.

٢ فضل التسبيح وعظيم أجره

- وقد ثبت أن:«سبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض»
- كان عبيد بن عمير رحمه الله يقول: "تسبيحةٌ بحمد الله في صحيفة المؤمن خيرٌ له من الدنيا وما فيها."والتسبيح المقرون بالحمد أعلى وأكمل؛ فأن تقول: سبحان الله فضل عظيم، وأن تقول: سبحان الله وبحمده فهذا أعلى وأحب إلى الله. التسبيح من الباقيات الصالحات، لأن التسبيحة تبقى عند الله، وأما الدنيا فإنها تفنى.

٣ ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ﴾

- له الملك أي: الله يملك كل شيء ويحكم فيه، وملكُه التام يُستحق له العبادة وحده.
وهو دليل على التوحيد: فالمستحق للعبادة هو من يملك كل شيء.
- وله الحمد، أي: له جميع الكمالات، فيُحمد سبحانه على كماله في خلقه، وأمره، ونهيه، وأفعاله، وأقواله.
فله الكمال المطلق من كل وجه.
- اجتماع قوله: له الملك وله الحمد يدل على كمال الله المطلق؛ فالملوك قد يملكون لكن لا يُحمدون دائمًا، أما الله فملكه تام وأفعاله كاملة بالعدل والحكمة، فاجتمع له كمال الملك وكمال الأفعال والأقوال، وهو كمال فوق الكمال.

٤ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾

- وهذا يفتح باب رجاء عظيم؛ فربك على كل شيء قدير، فتعتمد القلوب عليه وتطلب منه بثقة.

تدبر سورة التغابن

المحاضرة:12

(الآية 2):

{ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }

١ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾

- دلالات قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ)
1- استحقاق العبادة: فالخالق وحده هو المستحق للعبادة.
2- الدلالة على البعث: الخلق الأول يبين قدرة الله على إعادة الخلق، وإليه المصير.
3- دليل على القدرة الإلهية: أن الله قادر على كل شيء.
- القول الأول: من منظور علم الله السابق
أي أن الله سبحانه وتعالى كان يعلم مسبقًا من سيكون مؤمنًا ومن سيكون كافرًا، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ.
- القول الثاني: من منظور أفعال العباد وإرادتهم
الإنسان يختار بإرادته الحرة بين الإيمان والكفر؛ بين طريق الخير وطريق الضلال، وهذا يدل أن العباد مسؤولون عن أفعالهم، وأن وقوع القدر مرتبط بإرادتهم دون إجبار.
- والقولان متكاملان:فالله يعلم المقادير ويكتبها، والعباد يعملون باختيارهم، ولا تناقض بين علم الله السابق واختيار العباد.

٢ أركان القدر

- 1- علم الله السابق بما سيعمل الخلق.
- 2- كتابة الله للمقادير في اللوح المحفوظ.
- 3-خلق الله لأفعال العباد؛ أي أن العباد يملكون الإرادة، والله خلقها.
- 4-مشيئة الله النافذة؛ فلا يكون في ملكه إلا ما يشاء.

٣ توضيح مسألة الجبر

- بيان العقيدة الجبرية:هي الاعتقاد بأن الله أجبر العباد على أفعالهم، وأن معاصي العباد وطاعاتهم من الله سبحانه بلا اختيار منهم، وأنه لا يملك من الأمر شيئاً. وهذه النظرية تعتمد على النظرة من زاوية علم الله السابق فقط؛ وهذا يوهم بوجود ظلم أو عبث من الله، حاشاه تعالى.
- قال تعالى:(إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) [الحج: ١٤]
- فالعباد غير مجبرين على أفعالهم، ولهم إرادة واختيار فأعمالهم صادرة عن اختيارهم.
- ولفهم مسألة القدر فهمًا صحيحًا، يجب الجمع بين أمرين: علم الله السابق وإرادة العباد؛ فالنظر إلى أحدهما دون الآخر يؤدي إلى الانحراف.
- فلو نظر الإنسان إلى القدر من زاوية العلم السابق فقط، وقع في وهم الجبر، ولو نظر إلى مشيئة العبد وحدها، وقع في وهم الحرية المطلقة التي تنفي سلطان الله وعلمه، كما قالت القدرية، وكلاهما خطأ.

٤ الفرق بين الخطأين

- الجبرية: يزعمون أن الإنسان مسيّر بلا إرادة، فينسبون أفعاله إلى الجبر، وهذا يتعارض مع ثبوت إرادة العبد ومع كمال ملك الله.
- القدرية: يزعمون أن الإنسان مخيّر استقلالًا، فينفون علم الله السابق وسلطانه على أفعال العباد.
- قال النبي ﷺ :«اعملوا فكل ميسر لما خلق له»يدل الحديث على أن للإنسان إرادة وقدرة يعمل بهما ويُحاسَب عليهما، وفي الوقت نفسه فإن عمله داخل في علم الله وتقديره وتيسيره، فلا جبر ولا استقلال عن مشيئة الله.
- فالإنسان مسير ، يملك قدرة وإرادة حقيقيتين. وفعله لا يقع إلا باجتماع القدرة والمشيئة. أما الفعل الناتج فهو مخلوق لله، ويُنسب إلى العبد لأنه جَزَمَ إرادته ووافق بها ما شاءه الله، فاستحق الثواب أو العقاب.

٥ خطورة الاحتجاج بالقدر على المعصية

- لا يجوز استخدام القدر حجة للكسل أو المعصية، كأن يقول الإنسان: «لو شاء الله لهداني، فلماذا أعمل؟». فهذا فهم خاطئ، فالدين يعلمنا أن لنا مشيئة وقدرة على العمل، وعلينا السعي مع العلم بأن كل شيء يحدث بإرادة الله، مع تحمل مسؤولية أعمالنا.

٦ تقريب معنى القدر بمثال الرزق

- يفهم الناس القدر في مسألة الرزق: أن الفهم الصحيح للقدر يجعل الإنسان يعمل بجد، كما كان يفعل الصحابة.
- الرزق مكتوب لكل إنسان، وأنه لابد من السعي لذلك، فلا يجلس الإنسان متكلاً على القدر، بل يعمل ويجتهد ليصل إلى رزقه، سواء بالعمل أو الدراسة أو غيرها.
- الإنسان لا يعلم ما كُتب له، لذلك عليه أن يسعى ويأخذ بالأسباب، سواء في طلب الخير أو الابتعاد عن الشر.
- حتى الفقير يسعى للغنى، والمذنب يسعى للتوبة، لأننا لا نعرف ما كُتب لنا عند الله.
فلنتأمل قول الله تعالى:(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ)[الليل: ٤-٧]
نسب الله الفعل للعبد: أعطى، واتقى، وصدق،ثم قال: فسنيسره.
- وكذلك قال:(وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ)[الليل: ٨-١٠]
تيسير اليسر وتيسير العسر مرتبطان باختيارك ، ولك كسب ودور في النتيجة.

٧ الفرق بين الجبر والاختيار

- لا يصح أن نقول إن الإنسان مجبر على كل شيء.
- هناك أمور جبرية لا يُحاسب عليها، مثل دقات القلب، جريان الدم، اللون، أو الجنسية.
لكن الإنسان يُحاسب على ما له فيه اختيار، مثل الصلاة أو الشتم، لأنه يملك القدرة على الاختيار.

تدبر سورة التغابن

المحاضرة:12

(الآية 3):

{خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ }

١ {خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ}

- الآية دليل على البعث، وخلق السماوات والأرض أعظم من خلق الناس.
- قال تعالى:(لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ)
فمن قدر على الأعظم، فهو على الأصغر أقدر.

٢ ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾

- أي خلقكم، جعلكم في أجمل صورة وأحسن تقويم، فالإنسان هو أحسن المخلوقات صورةً وأبهاها منظراً.

(الآية 4):

﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾

١ ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾

- الله عليم بما تضمره الصدور وما تخفيه النفوس. فحسّن سريرتك، وجمّل باطنك،ولا تنشغل بالظاهر فقط.
- قال النبي ﷺ:«إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»

٢ مناهج الدعوة وتنويع أساليب الإقناع

- وبعد عرض الآيات السابقة "الحجج العقلية"في الدعوة إلى الله، كإثبات البعث والتوحيد والقدر، ينوّع الله أساليب البيان، فيصرّف الآيات ويعرضها بطرق متنوعة لتصل إلى عقول الناس وقلوبهم.

(الآية 5):

{أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

من طرق الإقناع التي يستخدمها الله تعالى مخاطبة الناس بقصص الأمم السابقة، التي مرّت بنفس أحوالهم، وبيان نهايتهم. الاعتبار بمصائر السابقين أسلوب دعوي مؤثر، يكشف سوء عاقبة المعصية وحسن عاقبة الطاعة، فالهلاك سببه تكذيب الحق.

(الآية 6):

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۖ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾

١ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾

- بين الله عز وجل الرد على الآية السابقة، فالقصة واحدة؛ قالوا كما قال من قبلهم :(أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا) تناقض الباطل وعدم ثباته
- هذه الجملة خطيرة؛ لأنها تدل على أن الباطل متناقض دائمًا.
- فالقاعدة: كلما تعاملت مع الباطل، ستجده مضطربًا، متناقضًا، لا يثبت على قاعدة، لأنه بلا أصول.
أما الحق فقواعده ثابتة.

٢ {أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا}

- اعتراضهم على بشرية النبي ﷺ متناقض؛ فإن كانوا يعترضون على كونه بشرًا فهم لا يرفضون مضمون الرسالة، بل حاملها، والعبرة بالرسالة لا بالرسول.
- بل إنهم تناقضوا أكثر، فوصفوه بالكذب والسحر والجنون، ثم اشترطوا أن يكون الرسول بشرًا عظيمًا في نظرهم، كما قال تعالى:(وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ)[الزخرف: ٣١]

٣ حكمة إرسال الرسل من البشر

- أنهم أقرب للفهم والاقتداء، فلو أُرسل ملك لاعترضوا بعدم القدرة على اتباعه، لأنه لا يشاركهم صفاتهم البشرية (وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ)[الأنعام: ٩]

٤ ﴿فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾

- الله غني حميد، عبادتنا لا تزيده ولا كفرنا ينقصه. ملكه ثابت مهما كانت قلوب الناس.

تدبر سورة التغابن

المحاضرة:12

(الآية 7):

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾

١ ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْ﴾

- زعم: تدل على قول بلا دليل، فكان إنكارهم للبعث دون دليل.

٢ ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾

- فأقسم الله بنفسه على البعث، والقسم له أثر يقع في النفوس.
- أقسم الله على البعث ثلاث مرات في القرآن:
- 1- في سورة يونس،قال تعالى: (وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ)[يونس: ٥٣]
- 2-في سورة سبأ، قال تعالى:(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ)[سبأ: ٣]
- 3- في سورة التغابن، قال تعالى:(قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ)

٣ {ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ}

- الإنسان مبعوث ثم موقوف للحساب بين يدي الله، ومن علم ذلك يعلم مسؤوليته، ومن علم مسؤوليته فليعد جوابًا لسؤاله.

(الآية 8):

{فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ}

النور هو القرآن، ففيه نور للحياة، نور للصدر، نور للقلب. قال النبي ﷺ:«اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري».فلا بد من الفهم، والتدبر، والعمل.

(الآية 9):

{ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}

١ { يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِ}

- سُمّي يوم الجمع؛ لأن الله يجمع فيه الأولين والآخرين،
- وقيل: لأنه يجمع الإنسان مع عمله،
- وقيل: لأنه يجمع الظالم والمظلوم.
- وهو يوم التغابن؛ لأن أكثر الناس خسروا، وباعوا الآخرة بالدنيا.
- وسمّاه الله يوم الحسرة، قال تعالى: (وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ) [مريم: ٣٩]
- كل الناس يتحسرون يوم القيامة؛ الكافر على كفره، والمؤمن على الوقت الذي ضيّعه في أمور لا تنفع.

٢ من صور التغابن في الدنيا

- الأكل الكثير، النوم الزائد، إضاعة أوقات الفراغ في الملهيات، وسائل الإعلام، الترندات، أو ترك استغلال الأعمال الصالحة؛ وإضاعة الوقت والفرص دون زيادة في الإيمان.

٣ النتيجة قبل دخول الجنة

- يُحاسب الإنسان على الوقت والجهد الضائعين:أما غبن الكافر فبترك الإيمان، وأما غبن المؤمن فبالتقصير في الإحسان.
- أعلى صور الغبن للكافر: رؤية مقعده في الجنة وما كان يمكن أن يناله لو أطاع الله، فيزداد حسرة وغمًا. أعلى صور الغبن للمؤمن:التقصير؛ حين يرى مافاته من درجات وإن كان بإمكانه زيادة الحسنات فيندم.

٤ الصفقة بين الله والإنسان

- منح الله الإنسان الحياة، الصحة، العمر، المال، النفس، القدرة، والإرادة.
- من استثمر هذه النعم في الطاعة فاز بالجنة.

٥ {ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}

- من يؤمن بالله ويعمل صالحًا تكفّر سيئاته، ويدخله الله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وهذا هو الفوز العظيم.